

رضا الله وفرح القلوب في صلة الأرحام



www.balagh.com

النبي "الأعظم محمد" (ص) يدعو للتماسك الاجتماعي في صفوف المسلمين ويبدأ من الدوائر الطبيعية في الحياة (وَأَنْذِرْ رَعَشَرِيرَ تَكَّلَّمَ الْأَقْرَبَ بَرِينَ) (الشعراء / 214)، وذلك لعدم وجود الحاجز النفسي بين أبناء الرحم فيسمع الواحد الآخر فيحصل التأثير والتأثير بشكل طبيعي هذا من جهة ومن جهة أخرى لوجود بعض الشحنات والمدميات التي تحصل بين الأقارب نتيجة للتداخلات المعيشية والنفسية فلو لم يعالجها الإسلام بإعادة اللحمة إلى حالتها الطبيعية من الصعوبة أن يعودوا بلحمة أخرى فذلك تدفع الشريعة لصلة الرحم وتثبيت عليها وتبين أثرها التكويني أيضاً في إطالة العمر وذلك تعاقب قاطع الرحم وتدرين أثر القطع التكويني على الإنسان في هذه الشهر المبارك لأبدٍ من صلة الأرحام وإعادة حالة التماسك القلبي بعيداً عن القيل والقال وتراكم السلبيات المترتبة في النفوس وهنا يقول الرسول الأعظم (ص): "خافوا من آن وصلوا الرحم فإنّهما في الدنيا بركة وفي العقبى مغفرة وفي صلة الرحم عشر خصال: رضا الله وفرح القلوب وفرح الملائكة وثناء الناس وترغيم الشيطان وزيادة العمر وزيادة الرزق وفرح الأموات وزيادة المروءة وزيادة الثواب". وقال أيضاً (ص): "إذا ظهر العلم واحترز العمل واثنتان الألسن واختلفت القلوب وتقاطعت الأرحام هنالك لعنهم آن فأمامهم وأعمى بأصارهم". فإذا ذُرَّ سيفحصل الإنسان على الآثار التكوينية في صلة الرحم أو عدم الصلة والنبي (ص) يشجع الصلة في أجواء هذه الأيام الكريمة بالذات حيث خلو النفس من الاهتمامات الدنيوية فالزيارات المتبادلة بين ذوي الأرحام تترك آثارها الإيجابية والصلة هذه تتحقق بالزيارات والولائم والمساعدات وتبادل الحنان والمحبة وهذا ثم يستمر النبي الأعظم (ص) في توضيح المنهاج التربوي في خطبته الكريمة ويوضح تقاطع أسس التربية الاجتماعية بأسس التربية الفردية لتصب الواحدة بالآخر بالمنافع والمردودات الإيجابية وبعد أن وضحت (ص) أسس التربية الاجتماعية في المنهاج التربوي بين أن أسس التربية الفردية أي على الإنسان المؤمن وعلى المجتمع الصائم أن يهدّب نوافذه المطلة على العالم الخارجي هي النوافذ الطبيعية نحو المؤشرات الخارجية أحذاً وعطاءً فهي تعتبر الجسر الرابط بين قلب الإنسان وما يحيط به لهذا يقول (ص): "واحفظوا ألسنتكم وغضوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم وعما لا يحل الاستئمام إليه أسماعكم". فاللسان والعين والأذن هي الجواهر الرئيسية الرابطة بين الإنسان والبيئة وهي النوافذ المؤثرة على فطرة الإنسان وعلى عقيدته وطموحاته فيما مرنا الرسول (ص) بحفظ ألسنتنا خاصة في هذا الشهر من الكلام البذيع ومن الغيبة والكلام غير المسؤول - فلسناك حمانك إن صنته صانك وإن خنته خانك - وشهر رمضان أفضل موسم ملائم للسيطرة على اللسان حيث الصيام والجوع فيهتم الصائم بما يفرضها الصوم بدلاً من الاسترسال وراء تتبع عورات الناس أو إثارة الفتنه والغيبة فإذا ذر يوماً مناخ التقوى والصلاح وتهذيب الحواس الرابطة بالخارج فقد جاء في الأثر: "مَنْ صَامَ صَامَ جَوَارِحَه". وعن رسول الله (ص) في مضمون حديث: أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى... ثم يقال للذى يأكل لحمه ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى فيقول إنَّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنعمة. والغيبة من الكبائر وإنّها أشد من الزنا ومن أُغتيب عنده أخيه المؤمن فنصره

وأعانته نصره **١٠** وأعانته في الدنيا والآخرة ومان **أُعْتَبَ** عنده أخوه المؤمن فلم ينصره (ولم يعنـه) ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونـه حقره **١٠** في الدنيا والآخرة. والنظر إلى المحرمات أو النظرة السيئة نحو الناس ومرآقبة أعمالهم أيضاً من المنكرات فقد قال **١٠** سبحانـه: (قُلْ لِلّٰهِ مُؤْمِنٰينَ يَغْفِضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) (النور/ ٣٠). وقال أيضاً: (يَعْلَمُ خَائِذَةَ الْأَعْيُنَ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافـر/ ١٩). فالنظرـة إلى الدنيا وزخرفها وأموال الناس بنوع من الخيانـة لغرض الحسد والسرقة إنـها نظرـة محـرمة يمقـتها الإسلام وكـذلك النظرـة إلى النساء بنحو من الشـهوة والإثارة فهو مدخل شـيطاني خطـير، شـهـام إـبليس مـسمـومة، فلا بدـ إنـ من تهـذـيبـ النظرـة والسيطرـةـ عليهاـ لـكيـ لاـ تـفـتـحـ مـجاـلـاـ لـلـشـيـاطـينـ ليـخـتـرـقـواـ تـقوـيـ الـقـلـبـ وـيـفـسـدـوـهـ فيـ النـهاـيـةـ. وكـذلكـ السـمعـ لاـ بـدـ مـنـ تـهـذـيبـهـ أـيـضاـ فيـ هـذـاـ الشـهـرـ الـكـرـيمـ لـكـيـ يـحـصـلـ إـلـيـهـ الصـائمـ عـلـىـ منـاعـةـ مـنـ الـاحـرـافـ لـتـحـصـنـهـ عـلـىـ مـرـأـيـهـ الـأـيـامـ. فـقدـ قـالـ سـبـحـانـهـ: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاسِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الدَّغْوِ مُعْرِضُونَ) (المؤمنون/ ١-٣). واستـدامـ الغـيبةـ والنـطقـ بهاـ كـذـلكـ مـاـ يـفـسـدـ السـرـيـرةـ.. ثـمـ يـنـتـقلـ النـبـيـ (صـ)ـ فـيـ طـبـقـتـهـ إـلـىـ طـبـقـةـ ضـعـيفـةـ أـخـرىـ فـيـ المجتمعـ بـحـاجـةـ مـاـسـةـ إـلـىـ الـمسـاعـدـةـ وـالـحنـانـ وـعـدـمـ الـاستـغـلالـ أـلـاـ وـهـيـ طـبـقـةـ الـأـيـتـامـ بـقـوـلـهـ: "وـتـحـنـنـواـ عـلـىـ أـيـتـامـ الـنـاسـ يـتـحـنـنـ عـلـىـ أـيـتـامـكـ"ـ وـالـحنـانـ الـذـيـ يـفـقـدـانـ أـبـيهـ أـوـ أـبـويـهـ أـوـ أـمـهـ لـبـدـ أـنـ يـعـوـضـهـ الـمـجـتمـعـ ذـلـكـ لـتـنـمـوـ نـفـسـيـتـهـ نـمـوـ طـبـيعـيـاـ بـعـيـدةـ عـنـ الـعـقـدـ وـالـتـشـاؤـمـ، فـقدـ قـالـ سـبـحـانـهـ: (فَأَمَّا الْيَتَامَىٰ فَلَا تَقْهِرْهُـ * وَأَمَّا السَّاَئِلَـ فَلَا تَنْهَهُـ) (الضحـىـ/ ٩-١٠)، هـذـاـ النـهـيـ يـحـفـظـ عـوـاطـفـ الـيـتـيمـ فـيـأـمـ الشـعـورـ السـلـبـيـ فـيـأـمـ الـإـسـلـامـ بـالـتـكـافـلـ الـاجـتمـاعـيـ وـاحـتـرـامـ الـيـتـيمـ وـعـدـمـ الـاقـتـرـابـ نحوـ حـقـوقـهـ وـأـمـوالـهـ باـسـتـغـلالـ ضـعـفـهـ فـقدـ قـالـ سـبـحـانـهـ: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ طُلُمَّا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ زَارًا) (النسـاءـ/ ١٠)، ولاـ بـدـ مـنـ اـحـتـصـانـ الـيـتـيمـ بـالـرـعـائـةـ الـنـفـسـيـةـ وـالـمـادـيـةـ فـورـدـ عـنـ عـلـيـ (عـ): "ماـ مـنـ مـؤـمـنـ وـلـامـؤـمـنـةـ يـصـعـ يـدـهـ عـلـىـ رـأـسـ يـتـيمـ تـرـحـماـ لـهـ إـلـاـ كـتـبـ **١٠** لـهـ بـكـلـ شـعـرـةـ مـرـتـ يـدـهـ عـلـيـهـ حـسـنـةـ". وـقـالـ رـسـولـ **١٠** (صـ): "إـنـ الـيـتـيمـ إـذـ بـكـيـ اـهـنـزـ لـهـ الـعـرـشـ فـيـقـولـ الـرـبـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ مـنـ هـذـاـ الـذـيـ أـبـكـيـ عـبـديـ الـذـيـ سـلـبـتـهـ أـبـويـهـ فـيـ صـفـرـهـ فـوـعـزـتـيـ وـجـالـيـ لـاـ يـسـكـتـهـ أـحـدـ إـلـاـ أـوـجـبـتـ لـهـ جـنـةـ". وـهـكـذاـ يـوـصـيـ النـبـيـ (صـ)ـ بـمـدـارـاتـ الـضـعـافـ مـنـ الـجـمـعـ وـالـيـتـامـيـ وـيـؤـكـدـ عـلـىـ رـعـاـيـتـهـ.